السّيرة النبويّة في التراث الأندلسيّ

د. محمد رضوان الداية

السّـــيرة النبويّـــة في الـــتراث الأندلســـي

د. محمد رضوان الداية

-1-

كانت الأندلس، بعدها النائي عن المشرق، موصولة الأسباب به، وثيقة الصلة. وكانت الحياة الثقافية بخاصّة، والحضارية بعامة، وجهاً في جملة وجوه الثقافة العربية الإسلامية: تتشابه منجزاته وصوره حيناً، وتختلف وتستقلّ حيناً آخر، ولكنها، على كل حال، كانت دائمة الاشتباك بالثقافة المشرقية.

وكان (انقطاع) الأندلس السياسيّ عن المشرق منذ أوائل الاستقرار- أي منذ عهد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) معيد دولة بني مروان... كان إيذاناً بقضايا كثيرة، ومرشحاً لنتائج خطيرة ترتبت على ذلك الانقطاع. ولكن هذا الموقف السياسي المحض لم يؤثر في طبيعة العلاقات الثقافية بين المشرق والأندلس، واتصلت الحضارة (في المشرق) ومنجزات الفكر فيه ببلاد المغرب والأندلس من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: حركة الكتاب على الوجه الذي كان يخترق فيه أقطار الدولة الكبرى ويستقر عند طلابه وراغبيه. ولا ننسى أن سيطرة العرب بعد فتح المغرب والأندلس امتدت إلى طرق التجارة البرية والبحرية، ولا ننسى أيضاً صيرورة بغداد العاصمة الثقافية الأولى بالإضافة إلى عدد من المدن والمراكز الثقافية الأخرى. ومن جهة ثانية كان خروج الأندلسيين إلى المشرق متلاحقاً لأداء فريضة الحج، ولقاء العلماء، وأفذاذ الرجال، على اختلاف معارفهم وما اشتهروا به، ولتلقي العلم وروايته. وكان انتشار المذهب المالكي وغلبته في الأندلس -والمغرب- حافزاً لمتابعة تراثه ولقاء رجاله... ومن جهة ثالثة فإن الأندلس منذ استقرار الأمور فيها في عصر الإمارة المروانية كانت تستقبل الوافدين إليها رغبة منهم، والشخصيات التي كان يطلب إليها من قبل السلطة الأندلسية الحضور إلى قرطبة وغيرها. وكان القصد العلمي هو الغالب المعروف في مثل هذه الدعوات. ويلحق بذلك -من المقاصد والدوافع- الرغبة في بناء الأندلس فكرياً وحضارياً، ومنافسة بغداد وغيرها من عواصم الفكر التي نبغت معها أو بعدها...

وقد أثبت عدد كبير من العلماء والأدباء الأندلسيين في برامج وفهارس خاصة مروياتهم ومسموعاتهم من الكتب والنصوص، وذكروا شيوخهم الذين أخذوا عنهم القراءات والتفاسير والأصول... الخ. وسلسلوا طرق أخذهم، ولو وصلت إلينا كتب برامج العلماء الأندلسية جميعاً إذن لاجتمعت لدينا معلومات كاملة تقريباً عن حركة الكتاب، وعن التطوّر الثقافي، وعن سيادة كتب -دون سواها- في زمان ومكان معينين في البلاد الأندلسية. ومع ضياع كثير من تلك البرامج والفهارس نجد المتبقي منها كافياً للدلالة على ما نذهب إليه من اتصال الثقافة المشرقية بالأندلس، ومن اقتداء الأندلسيين زماناً بالكتاب المشرقي، في الوقت نفسه الذي كانت الأندلس تخرّج كبار العلماء والفقهاء والأدباء.

ومرَّ زمانٌ قبل أن نرى مؤلفات الأندلسيين أنفسهم في بيان الكتب المقررة، أو التي تشارك نظائرها من الكتب المشرقية وتسايرها.

... ...

ويصدق هذا الحكم العام، الغالب، على قضية تأليف الأندلسيين في موضوع السيرة النبويّة. وعلى رغم استمرار رواية كتب السير والمغازي والأصحاب مما وصل إلى الأندلس منذ وقت مبكر، نجد للأندلسيين باعاً في هذا المجال، يصح أن نعرض له، وندرسه، ونبيّن شيئاً من خصائصه ومزاياه، وأبرز أعلامه.

... ...

-2-

إذن اهتمّ الأندلسيون -كالمشارقة- ومن مداخل مختلفة بالكتب المؤلفة في السيرة النبوية، والمغازي، وأعلام النبوة، والشمائل، والمعجزات.. كما اهتموا بالتأليف في صحابته (ص). وكانت الأصول المشرقية قد انتقلت إلى الأندلس، ورواها جيل عن جيل في متابعة ومواصلة. ونجد في فهرسة ابن خير الإشبيلي أسماء عدد من هذه المؤلفات(1) مثل أعلام النبوة لأبي داود السجستاني، ودلائل النبوة لأبي ذرّ الهروي، وشمائل النبي (ص) لأبي عيسى الترمذي ومغازي ابن عقبة، والمغازي والسير لابن إسحاق، وسيرة رسول الله ومغازيه للواقدي، وسيرة رسول الله لابن إسحاق.. إلى غير ذلك من الكتب والمصنّفات.

وكان إلى جانب هذه المؤلفات وما جرى مجراها كتب السنّة وكتب الطّبقات، وكتب الأصحاب، مما يقدم مادة غزيرة في بيان حياة رسول الله (، ودلائل النبوة، وأحواله، وشمائله، ومعجزاته. وأسهمت كتب الأدب أيضاً في الحديث عن بلاغته (ص) وما أوتيه من جوامع الكلم.

واكتفى الأندلسيون زماناً بما وصل إليهم من المصنّفات الشاملة والمؤلفات الخاصة فيما يخص السيرة النبوية. حتى إذا كان القرن الخامس -على الأرجح وبحسب ما وقع لي في المصادر والمراجع المتوفرة- ظهر في الأندلس من يخرج على الاكتفاء بالمؤلفات المشرقية في السيرة النبوية وما يتعلق بها. ونعني بذلك ابن عبد البر، وابن حزم، العالمين القرطبيين الشهيرين. ثم توالت المؤلفات بعد ذلك على توالي الأجيال، بالإضافة إلى العناية برواية الأصل، أو إيضاح له، أو انتقاء منه أو غير ذلك من الوجوه التي سأتحدث عنها.

في الفصل الذي عقده ابن خير لما رواه "من كتب السير والأنساب ونحو ذلك مما يتصل به" نجد الكتب المشرقية المعروفة، كما نجد بعض المؤلفات الأندلسية متداولة متناقلة. فقد ذكر مثلاً كتاب مغازي رسول الله (تأليف موسى بن عقبة، وكتاب السيرة لسليمان بن طرخان التيمي، وكتاب المغازي للواقدي وكتاب المغازي والسير لابن إسحاق. وسيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام، وكتاب المغازي لعبد الرزاق بن همام، وكتاب السير لأبي إسحاق الغزاري، وكتاب السير لسعيد بن يحيى الأموي.

وذكر فيما رواه عن شيوخه كتاب "الدّرر في اختصار المغازي والسير" لأبي عمر بن عبد البر القرطبي. وكتاب سيرة رسول الله (تأليف أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى اللّيثي. أما الأول فمعروف مشهور وأما الثاني فترجم له في جذور المقتبس (354)، ونقل الترجمة بحروفها الضبي في بغية الملتمس(2). وكانت وفاة ابن خير الإشبيلي سنة 575هـ.

وفي برنامج شيوخ الرّعيني، في ترجمة أبي زكريا يحيى بن عصفور، أنه قرأ على شيخه أبي العباس اللورقي كتاب حجّة الوداع لابن حزم(3). وفيه أيضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد الأموي –أنه قرأ على أبي القاسم السهيلي (من سهيل قرب مالقة بالأندلس) كتاب الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام(4). وسمع أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي كتاب السهلي في شرح السيرة(5). ومثله أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج اللخمي(6). وفي برنامج الرعيني نفسه في ترجمة ابن أبي عزفة (أبي العباس اللخمي) أنه سمع كتاب الشفا للقاضي عياض اليحصبي الأندلسي السبتي على شيخه أبي عبد الله الجزامي(7) وسمعه أبو زيد القمارشي(8). وتلقى الرعيني كتاب الاكتفاء للكلاعي منه مباشرة(9) وقال الرّعيني في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي. سمعت عليه جميع كتاب الشفا للقاضي عياض. وكانت وفاة الرعيني سنة 666هـ.

وتحدث ابن أبي الربيع (أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن أبي الربيع القرشي المتوفى سنة 688هـ) عن مروياته، فذكر في جملتها كتاب الشفا للقاضي عياض(10).

وكان المؤلفون الأندلسيون يعتمدون في جملة مراجعهم ومصادرهم عدداً من الأصول الأندلسية المتقدمة عليهم، أخذاً منها، ووثوقاً به، وتقديراً لصنيع أصحابها، وصحة رواياتهم، ودقة تصنيفهم، وحسن تبويبهم، إلى غير ذلك مما يدخل في باب العلم والتأليف وما يتعلق به.

فمن ذلك اعتماد ابن حزم على أستاذه ابن عبد البرّ، في مواضع لا يدركها الحصر في هذه العجالة(11). واعتماد أبي الربيع الكلاعي في كتابه الاكتفا على كتاب شيخه أبي القاسم بن حبيش(12).

ومنه اعتماد القاضي عياض في (الشفا) على جمهرة من شيوخه، من أشهرهم أبو علي الصدفي الأندلسي، وعدد من المصادر الأندلسية.

أما ابن سيّد الناس اليعمري الأندلسي الأصل، المصري، فيذكر من أصوله الأندلسية التي اعتمد عليها كتاب الأنساب للرشاطي (ت542) المسمى: اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار. وكتاب الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البرّ القرطبي، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (. وكتاب: الروض الأنف للسهيلي. ونقل أيضاً عن طرر (حواش وتقييدات) للشلوبيين اللغوي النحوي الأندلسي (ت 645).

ولاشك في أن كتب (السّيرة) الأولى التي رويت وتناقلت من بلد إلى بلد هي الأصل الأول الذي اعتمد عليه كتاب السيرة اللاحقون. ويلخص هذا ما قاله ابن سيد الناس في مقدمة سيرته

(1: 7) "وعمدتنا فيما نورده في ذلك –في سيرته– على محمد بن إسحاق إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا". وهذا الاعتماد الكبير على ابن إسحاق لا يعني الاكتفاء بها والوقوف عندها، فقد كان في كتب السير والمغازي والشمائل والأصحاب وفي كتب السنن وغيرها ما يفتح المجال واسعاً للتأليف والتصنيف والتهذيب. وكان لطبيعة الظروف الثقافية في بلد دون آخر، وفي زمان دون زمان ما يدعو إلى الشرح والإيضاح وإضافة الحواشي والطرر والتعليقات أو ما يدعو إلى كتابة المختصرات التعليمية والمنظومات والأراجيز... الخ.

فالمادة التي يرجع إليها كتاب السيرة متقاربة، وتختلف طريقة التناول، والعرض، ورغبة المؤلف في الإسهاب أو الاختصار، والسرد التاريخي أو الاعتماد على التفصيل والتبويب، وذكر الأسانيد وحذفها، والاستطراد بالشعر والنّسب والخبر أو الاكتفاء بالنزر اليسير من ذلك كلّه... والقصد إلى تناول السيرة بجملتها أو الوقوف عند أعلام نبوته، أو خصائصه وشمائله أو غزواته أو غير ذلك من أحواله وأفعاله (.

ويبقى لسيرة ابن عبد البرّ (الدّرر) مكانة خاصة، وصدى في كتب السيرة وما يلحق بها، كما تبقى له شخصيته النافذة المؤثرة. ولا نكاد نجد واحداً في المؤلفين الأندلسيين استغنى عن كتاب (الدرر) في تأليفه لكتاب في السيرة بالإضافة إلى استفادتهم من كتبه الأخرى. وانتقل الكتاب إلى المغرب، والمشرق أيضاً مع الأندلسيين. الذين لم تنقطع رحلاتهم المستمرة إلى المشرق واستمرار بعضهم فيه.

وكتب للمؤلفات الأندلسية في السيرة وشروحها ذيوع وانتشار، وأغلب هذه أهل كتب طارت لها شهرة في حياة مؤلفيها. فكتاب الدرر كان المعتمد الكبير الذي رجع إليه ابن حزم في تأليف كتابه جوامع السيرة. وكتاب ابن حزم (جوامع السيرة) كان في جملة ما يقرؤه ويدرسّه. وقال ابن فرحون في كتاب الشفا لعياض".

إنه: أبدع في كل الإبداع وسلم له كفاءته فيه ولم ينازعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا مزية السبق إليه بل تشوّفوا للوقوف عليه وأنصفوا في الاستزادة منه وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقاً وغرباً". وتحدث الرعيني عن كتاب الكلاعي الاكتفاء فوصفه بالكتاب الجليل، ووصف المؤلف بأنه أجل من كان بقي من الأعلام الأكابر.

وقال الشوكاني في البدر الطالع (1: 250) في ترجمة ابن سيد الناس: "وله تصانيف منها السيرة النبوية المشهورة التي انتفع بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم". وكان شهرة كتاب الروض الأنف للسهيلي سبباً في تقريب أمراء الموحدين له واستدعائه إلى حضرتهم في مراكش (المطرب 232)....

وكان مؤلفو كتب السيرة ما يلحق بها من الأندلسيين، في جملة، من الشخصيات ذوي المكانة العلمية –الفكرية، المنظور إليهم في فنون من العلم والثقافة والمعرفة وكانوا يشتركون في:

–ضبط الرواية، وإتقانها، والتقدم في علوم الحديث، والسير والأصحاب، والرجال، والتواريخ.

–التقدم في علوم القرآن والتفسير والقراءات والأصول والفقه...

–التقدم في علوم اللغة وما يتعلق بها، والبراعة في الآداب والأشعار والبصر بطبقات الشعراء ونقد الشعر.

–وكانوا –في الجملة– رؤوس أزمانهم في معارفهم، وإليهم كانت الرحلة، وقصد التلقي، والإفادة.

–واشتهرت عنهم مؤلفات مختلفة كان لأكثرها شهرة، ومكانة في فنونها وأبوابها. وكانت المؤلفات في السيرة من مشهور مؤلفاتهم، بل قد يكون كتاب السيرة، أبرز أعمال بعضهم فالشفا لعياض والروض الأنف للسهيلي وعيون الأثر لابن سيد الناس تعدّ أشهر ما ألفوا وأكثرها ذيوعاً.

-3-

وكانوا في الجملة من الشخصيات الفذة في العلم، وفي جوانب من النشاط الثقافي، والسياسي، والعقائدي، فقد كان ابن حزم إماماً للمذهب الظاهري، وكان الكلاعي مثالاً للعالم العامل المجاهد. (مات شهيداً في وقعة أنيشة عند بلنسية). وسأبسط في تراجم المؤلفين، فيما يتبع من هذا المقال، ما يوضح هذا الجانب ويبيّنه.

ولو نظرت في الدوافع التي حفزت أولئك المؤلفين على الكتابة في السيرة لاجتمعت دوافع مشتركة فيما بينهم، وربما ظهرت دوافع خاصة بمؤلف دون آخر. فمن الدوافع المشتركة: ما قصد إليه المؤلفون من التعبير عن محبة رسول الله (في صبره، والتقرب إلى الله سبحانه بإظهار محبته1. والدعوة إلى الاقتداء به (في صبره، وكفاحه، وثباته، وفي أحواله جميعاً. والغرض التعليمي الذي يقف وراء وازع عدم كتمان العلم وضرورة بثه في الناس، والذي يهدف إلى تقريب السيرة إلى الناشئة أو الكبار، وتعليمها، وإيضاح ما فيها. وهناك بعد ذلك كله: طبيعة البحث العلمي التي تدفع وتحفز، وتحرّك الأقلام.

ومن جهة ثانية نجد ابن عبد البرّ –مثلاً– يقصد إلى تأليف مختصر للسيرة النبوية "سيرة محررة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها بل تعتمد أيضاً على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ومع الوفاء بالدقة في أسماء الأعلام، ومع التوقف في موضع التوقف والنفوذ إلى الرأي السليم ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه". من مقدمة الدكتور ضيف.

ونجد ابن حزم في جوامع السيرة كان يرمي "إلى وضع مختصر قريب المأخذ سهل المتناول في أيدي طلابه كما فعل في كثير من رسائله التاريخية مثل رسالة نقط العروس ورسائله في رجال القراءات والحديث والفتوح وتواريخ الخلفاء، وأنه كان في هذا المختصر يضع الأصول التي لا يستغني عن تذكرها أو استظهارها كل من اشتغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم"– من مقدمة المحققين–. ولابن حزم غرض آخر: فإن من يعرف قيمة النقل والاستكثار من السنن في مذهب أهل الظاهر عامة وعند ابن حزم خاصة –والسيرة جزء هام من هذا النقل– يجد أن تناول ابن حزم للسيرة بالنظر الجديد والتحديد والتقييد إنما هو جزء من مذهبه... والسيرة صورة عليا من الكمال الإنساني في نفس ابن حزم، ولذلك فلا غرابة في أن يجعلها موضوعه المحبب، وأن يحاول وضعها للناس وضعاً ميسراً قريباً بيّن الحقائق..".

وقصد القاضي عياض في جملة ما قصد إليه: التعريف بقدر المصطفى عليه السلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في منصبه الجليل قلامة ظفر، وأن يجمع ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال..." وذهب إلى بيان

خصائصه (التي لم تجتمع قبل في مخلوق".. مقدمة الشفا للقاضي عياض 5-3.

أما الكلاعي فقد عاش في مدة اشتدت فيها الحرب بين اجتماع الأندلسيين والمغاربة من جهة، وبين جميع الدول المعادية في شمال الجزيرة الأندلسية ومن اجتمع إليهم من دول أوربة من جهة أخرى. وتجد في مقدمة سيرة الكلاعي (الاكتفا) صدى لأمرين اثنين.

أحدهما: الدعوة إلى سلوك الطريق القويم، ونبذ الفساد، والدّعة المفرطة. ودعوة أصحاب القلوب البطالة إلى الابتعاد عن موارد الجهالة والضلالة... فإن في السيرة النبوية ما يحفز على الفضل ونبذ المفاسد بالقدوة والأسوة.

والثاني: الدعوة إلى الثبات في وجه العدو، وإلى جهاده في عقر داره وقد كانت الأندلس في أيام الكلاعي في شدة مواجهة الحرب الصليبية المماثلة للحرب الأخرى على الجهة الشرقية (بلاد الشام والمشرق). قال في مقدمة الاكتفا: وإنه لا يخلو الناظرون في هذا الكتاب من أن يسمعوا ما صنع الله لرسوله (في إعداد تنزيله فيستجزلوا ثواب الفرج بنصر الله أو يسمعوا ما امتحنه الله به من المحن التي لا يطيق احتمالها إلا نفوس أنبياء الله بتأييد الله فيعتبروا بعظيم ما لقيه من شدائد الخطوب ويصطبروا لعوارض الكروب تأدباً بآدابه، وجرياً في الصبر على ما يصيبهم، والاحتساب على ما ينوبهم على طريقة صبره واحتسابه. وتلك غاية لن نبلغ عفوها بجهدنا ولن نصل أدناها بنهاية ركضنا وشدنا، وإنما عينا بذل الجهد في قصد الاهتداء...". (من المقدمة 1: 55). وقد كانت حياة الكلاعي ومماته، فيما بلغنا من تراجمه -من المقتدين، الصابرين، المحتسبين.

أما ابن سيد الناس فقد قصد إلى التبرك بالدخول في جملة المعتنين بالسيرة، وهدف أيضاً إلى إعادة كتابة السيرة، بحيث تحقق غرضين معاً: الاختصار والاقتصار على الباب، اللاصق بموضوع السيرة دون استطراد. ثم: الإحاطة -على قدر الاجتهاد- بأخبار النبي (وأحواله وشمائله ومجريات حياته، وأهله، ومغازيه، وما يتعلق بذلك كله.

وجاءت سيرة ابن سيد الناس (عيون الأثر) جامعة، وافية، بالإضافة إلى غزارة علمه، وثقة نقله.

ولابد من أن يلاحظ الدارس أن العناية بالسيرة النبوية، وشروحها وإعادة التأليف فيها، وفي مغازيه (ومغازي الصحابة (رض) من بعده مرتبط على أكثر من وجه بالموقف الفكري، والفرق، والدويلات، التي ترددت أصداؤها في مواطن متفرقة من بلاد المغرب، والمشرق، مما يعد مخالفة لما كانت عليه الجماعة، أو خروجاً على الفكر الإسلامي جملة.

وقد كان لجمهرة الفقهاء والعلماء والمحدثين بالأندلس دور فعال أساسي في مدة دول الطوائف لمنع حدوث تدهور فكري أو عقيدي قد يرافق الانهيار السياسي والتقاعس الجهادي. وقد أسلفت، فيما سبق، أن التأليف الأندلسي في السيرة بدأ –على ما رجحت– في هذا العصر (القرن الخامس الهجري).

ثم جاء المرابطون الذين اعتمدوا على جهود الفقهاء، وأحيوا الجهاد، ومكنوا أهل العلم والقضاء من مناصب الدولة.

فلما كان عهد الموحّدين ازدادت العناية بالعودة إلى الأصول: الكتاب والسنة.

وقد كان العصر الموحّدي عصر ازدهار للكتابة في السيرة النبوية، والمغازي، وكتابة الشروح المطولة والمختصرة، وازدهار فن المدائح النبوية وتسجيل أحداث السيرة في قصائد وأراجيز... الخ.

وتبرز في هذا المجال ملاحظات وتعليلات عديدة، أقف منها عند جانبين اثنين:

أحدهما: أن دولة الموحّدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين القوية، هدفت إلى العودة إلى القرآن والسنة، والاهتمام بالأصول دون الاستغراق في الفروع، وإلى الأخذ بالظاهر من القرآن والحديث. ولاشك في أن نشر السيرة، والتأليف فيها، يعد في جملة ما يعين على الوقوف عند النصوص والآثار وما يعيد إلى الأصول. ونذكر هنا جهود ابن حزم في السيرة وأخذ دولة الموحدين بالمذهب الظاهري وازدهار هذا المذهب في أيامهم من جديد (بالنثيا 239–237).

والثاني: أن الموحّدين كانوا يخوضون حرباً ضروساً في الأندلس، للجهاد والدفاع. وكان خلفاء الموحّدين يحرضون العلماء والمحدثين على توعية الناس، تقريب الأحاديث إليهم في قضايا الجهاد والاستشهاد. وكانت (السيرة النبوية) القدوة المثلى والأسوة الحسنة، لدفع الناس إلى التضحية، والبذل في سبيل الله.. بذل الأموال والأرواح.

ففي أخبارهم أنهم كانوا يحملون مصحفاً وصل إليهم من مصاحف عثمان (رض) أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة (المعجب 326).

وفي بعض أخبار أبي يعقوب يوسف أنه لما توجه إلى غزو الروم أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تملى على الموحّدين ليدرسوها (المعجب 328).

وفي أخبار أبي يوسف يعقوب المنصور (الحلل الموشية 159) بعد انتصاره في موقعة الأرك (سنة 591) أمر كاتبه أبا الفضل بن أبي الطاهر أن يوجز في كتاب هذا الفتح، وأن ينحو منحى كتب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان تأليف السهيلي (ت 581) كتابه الروض الأنف في شرح السيرة سبباً رئيساً في تقريب الخليفة الموحدي له، واستقدامه إلى العاصمة مراكش والمبالغة في إكرامه (المطرب لابن دحية 232).

إن نظرة سريعة إلى الكتب والرسائل المؤلفة في غرض السيرة تظهر أن التأليف فيها تناول الجوانب المختلفة المتعلقة بالسيرة النبوية ابتداء من الطرر والتعليقات والشروح على كتب السيرة المشرقية، مروراً بالتأليف في بعض خصائص النبي (من الشمائل والمعجزات والبلاغة النبوية، وانتهاء إلى التأليف الشامل في سيرته العطرة. وقد وصل إلينا عدد من هذه الكتب، وغاب عدد آخر فيما ضاع منها أو فيما نجهل حقيقة مكانه إلى أن يظهر في يوم من الأيام.

فمّما ألف في السيرة الشاملة كتاب الدرر لابن عبد البر، وجوامع السيرة لابن حزم، والسيرة لأبي حفص الملاي(14)، ومما ألف في معجزاته (الإحكام في معجزات النبي عليه السلام لأبي الحسن الجياني(15) والدرر البهية في معجزات خير البريّة(16)، وكتاب في معجزات خير البرية ذكره صاحب النفح في ترجمة ابن غصن الإشبيلي(17) والآيات البينات في ذكر ما في أعضاء(؟) رسول الله (من المعجزات(18).

ومما ألف في خصائصه (: ملاذ المستعين في بعض خصائص سيّد المرسلين للمنتشاقري(19) وخلاصة الصفّا من خصائص المصطفى لأحمد بن ميمون الأشعري(20).

ولابن دحية كتاب التّنوير في مولد السّراج المنير(21). وللإقليجي: الغرر من كلام سيد البشر(22) والنجم من كلام سيد العرب والعجم، ولابن دحية أيضاً رسالة في شرح أسماء النبي

ومن الشروح كتاب الرّوض الأنف للسهلي، وكتاب أبي ذرّ الخشني. ومنها طرر للشلوبيني(23) وكتاب لأبي الوليد المهري في تفسير مغازي الواقدي(24).

ولا يمكن الاستقصاء هنا، وليس ذلك مقصوداً وإنما أنبه إلى وفرة المؤلفات والمصنّفات في السيرة وما يتعلق بها، وأنّ التأليف في ذلك كان تيّاراً من تيارات العناية بالسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي بالإضافة إلى أنّ في العناية بالسيرة قصداً واضحاً إلى التعرف إلى السيرة العطرة،

والاقتداء بالنبي (، وغلى إظهار محبّته (، والتشوق إليه وإلى روضته ومسجده، وإلى الأرض المطهّرة.

وإذا راجعنا المطبوع من الآثار الأندلسية في السيرة وما يتعلق بها، واستطعنا أن نميّز الاتجاهات التالية:

آ–المؤلفات التي قصد أصحابها إلى كتابة السّيرة النبوية من مبدئها إلى منتهاها مما يخص تاريخ حياته (وأخباره وشمائله وخصائصه... ونجد من هذه الكتب:

–الدرر في اختصار المغازي والسير لأبي عمر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463هـ.

–جوامع السّيرة لأبي محمد بن حزم القرطبي المتوفى سنة 456.

–الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي المتوفى سنة 634هـ.

ويضاف إلى هذه المؤلفات كتابان آخران، ألّفهما عالمان ينتميان إلى أصل أندلسي. وعاش أحدهما –وهو القاضي عياض2– مدة في الأندلس، واستقضي في بعض مدنها، وأخذ العلم الغزير عن شيوخها. أما الآخر فقد ولد في القاهرة لأب أندلسي وهو ينتمي إلى أسرة عريقة أندلسية اشتهر منها عدد جم من المحدثين والعلماء، وهو ابن سيّد الناس اليعمري.

وقد حفزني على اعتبارهما في المؤلفين الأندلسيين أنهما ينتميان إلى أصل أندلسي قريب. وأنهما اعتمدا في مؤلفاتهما، وبخاصة الكتب الخاصة بالسيرة، في جملة ما اعتمدنا عليه، على أصول أندلسية، فهما على أكثر من وجه، من المدرسة الأندلسية، إن صحّ هذا الإطلاق، ومن جهة ثالثة فإني وجدت كتب التراجم القديمة، وكتب تاريخ الأدب الأندلسي المعاصرة تسلكهما في المؤلفين الأندلسيين كالذي نجده في تاريخ الفكر الأندلسي(25).

والكتابان هما:

–الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض المتوفى سنة 544هـ.

–وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير لابن سيد الناس اليعمري المتوفى سنة 734هـ.

ب.المؤلفات التي عُنيت بجانب من جوانب حياة النبي (أو سيرته، وبين أيدينا من هذا النّوع كتاب حجة الوداع لابن حزم.

ج.كتب السيرة المختصرة، التي يختصرها المؤلف عن كتاب مطول سبق أن ألفه. وبين أيدينا من هذا النوع: كتاب: نور العيون في سيرة الأمين المأمون، لابن سيد الناس اليعمري، وهو أوراق ملخصة من كتابه الذي سبقت الإشارة إليه: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير.

د.كتب الشروح على السّيرة النبويّة، ولعلّ هذا النوع هو أوّل ما عرفته الأندلس من تقييدات على السيرة. وقرأت في طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي أن أبا الوليد المهري صنف كتاباً في تفسير مغازي الواقدي(26).

وبين أيدينا من هذا النوع:

-الرّوض النف لأبي القاسم السّهيلي، المتوفّى سنة 581هـ.

-"شرح السّيرة النّبوية" لأبي ذر مصعب بن مسعود الخشني، المتوفى سنة 604هـ.

وكلا الكتابين شرح على السيرة النبوية برواية ابن هشام.

هـ.المنظومات والأراجيز التي اختصر فيها أصحابها كتب السيرة النبويّة. وهي كثيرة، ذكر منها أصحاب كتب التراجم، والبرامج عدداً، وبعضها قد وصل إلينا، وإن كان الطبوع منها قليلاً. ويلحق بهذا النوع فن المولديات الذي يختلط فيه المديح النبوي بسرد السيرة. (ويصح أن يستقل هذا النوع بدراسة مستقلة).

فمن ذلك ما نقله ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة(27) من أن أحمد بن عيسى بن حجاج المعروف بأبي الوليد الأفيلح وضع أرجوزة مخمسة في السير سماها: "نظم الدرر ونثر الزهر" قال ابن عبد الملك: وهي من أحسن ما نُظم في معناها، أودعها نكت السير لأبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار. وألّف أبو بكر ابن أبي الأفيلح المذكور: الدرر البهية في معجزات خير البريّة.

ولأحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي قصيدة مطولة سماها بـ "خلاصة الصفا من خصائص المصطفى"(28).

ومن المطبوع لابن سيد الناس اليعمري السابق الذكر قصيدة مطبوعة، عنوانها "بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب"(29).

يقتضي الترتيب الزمني، وقد وصلت إلى عرض كتب السيرة وما يتعلق بها، أن أقدم الإمام ابن حزم (ت 456) لأنه توفي قبل ابن عبد البر القرطبي (ت 463). ولكنني سأبدأ بابن عبد البرّ لأنه شيخ (الدرر) اعتماداً كبيراً، في جملة ما اعتمد عليه من مصادر ومراجع.

-4-

ابن عبد البر3 (364-863)

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري. من أهل قرطبة، ولد بها سنة 368، ونشأ، وتلقى علومه، وسمع قبل الأربع مئة بمدّة من جماعة من علماء الأندلس ورواتها. وقد تنقل في البلاد الأندلسية، فخرج إلى الغرب وأقام مدّة. واستقضاه المظفر بن الأفطس (من بني الأفطس أصحاب بطليوس أيام الطوائف) فتولى قضاء الأشبونة وشنترين، ثم تحوّل إلى شرق الأندلس، وكان ثمة مجاهد العامري، من أمراء الطوائف، وكان معروفاً بحب العلم وتقريب العلماء، فجال ابن عبد البر في دانية وبلنسية وشاطبة. وكانت وفاته بشاطبة عن سن متقدمة عام 463.

في ترجمة الحميدي -تلميذ ابن عبد البر وتلميذ ابن حزم وصاحبه- في جذوة المقتبس لأستاذه أبي عمر ابن عبد البر: أبو عمر فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات والخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، كثير الشيوخ. وقد حرص الحميدي على إجازة شيخه، فكتب إليه بذلك(32). وقد أثنى على ابن البرّ أبو الوليد الباجي فقال: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث. وقال ابن بشكوال: هو إمام عصره وواحد دهره(33). وقال الحجاري: إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث لا أستثني من أحد(34). وقال ابن حزم في معرض التعريف بكتاب ابن عبد البر "التمهيد لما في الموطّأ من الأسانيد": "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث فكيف أحسن منه؟(35)". وقال ابن خلكان(36): تقدم في ترجمة الخطيب البغدادي أنه كان حافظ المشرق، وابن عبد البر حافظ المغرب، وماتا في سنة واحدة. وهما إمامان في هذا الفن.

وألف ابن عبد البرّ مما جمع تواليف نافعة سارت عنه(37) كما قال الحميدي. فمن تواليفه: التمهيد: (وقد سبقت الإشارة إليه)، وكتاب في الصحابة سمّاه: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، وكتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، وكتاب: بهجة المجالس وأنس المجالس بما يجري في المذكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات(38). وغير ذلك من الكتب. ومنها كتاب الدّرر.

سمّى ابن عبد البرّ كتابه "الدّرر في اختصار المغازي والسّير". فهو قصد كما يظهر في العنوان إلى وضع مختصر يفي بالغرض. وقد أوضح هذا في مقدمة الكتاب فافتتحه بذكر منهجه ومراجعه ومصادره الرئيسية فقال: هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي (، وابتداء نبوته، وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها، لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته وعيوناً من

أخباره في صدر كتابي في الصحابة(39). وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته (.

وتحدث، بعد، عن مصادره وأصوله: واختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة، وكتاب ابن إسحاق، رواية ابن هشام وغيره. وربما ذكرت فيه (الدّرر) خبراً ليس منهما، والنسق كله على ما رسمه ابن إسحاق، فذكرت مغازيه وسيره (جهاده) على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط(40).

فكتاب الدّرر إذن وضع ليكون تهذيباً واختصاراً لما رواه من كتب السير والمغازي والشمائل والأخبار، من الأصول المعتمدة والروايات المختلفة. ولم يكتف بذلك بل أضاف إلى التهذيب والاختصار أخباراً رواها، وآراء نثرها في جوانب السيرة، "وهي آراء علم من أعلام الفقه والحديث"(41). وهو من جهة حذف بعض الأسانيد وبعض الحشو، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوي على حشو كثير فرأى أن يكتفي بالدرر والفوائد التي تجعل منها خيطاً ممدوداً متصلاً(42).

وكما أسلفنا مما نقلناه من مقدمة المؤلف، فإن كتاب الدّرر يبدأ من البعثة النبوية. أما ما قبل ذلك من ولادة الرسول (ونسبه ووفاة أبيه وأمّه وجده وكفالة عمه أبي طالب ونشأته وأطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة (رض) فقد أجمله في صدر كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

وهو، على متابعته في الخط العام لسيرة ابن إسحاق، كما أشار في المقدمة، فإنه خرج على ذلك بما حذفه منه، وبما أضافه من مصادره الأخرى مثل كتاب ابن عقبة المغازي وكتاب ابن أبي خيثمة، وروايات شيوخه من الأحاديث.

وقد كان من مصادره الرئيسية سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام، وبروايتين أخريين: رواية يونس ابن بكير(42) مكرر ورواية إبراهيم بن سعد. واستعان بهذه الروايات على المقارنة والموازنة. ومن مصادره: مغازي الواقدي، وطبقاته، وكتاب أبي بكر بن أبي خيثمة. قال الدكتور ضيف: ويظهر أنه كان له كتاب في السنن بجانب كتابه التاريخ الكبير في تعديل الرواة وتجريحهم(43). قال: ولاشكّ في أن وراءها مصادر أخر لم يعن بإيرادها.

وخلاصة القول أن ابن عبد البرّ اقتصر على العيون من الأخبار، وألّفه بطريقة المحدّث الحافظ، مبتعداً عما لم يصح من الروايات، مع مناقشة ما رواه من ضعيف الأخبار وذلك بميزان الجرح والتعديل، وأداره بروح المؤرخ الأديب والناقد الخبير(44).

وقد كانت السيرة التي صنفها ابن عبد البر (الدرر)4 في أول مصادر ابن حزم في (جوامع السيرة)، وفي أهم مصادر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) مما يلحق الحديث به، في مواضعه. ولاشكّ في أنها كانت بين يدي الأندلسيين الذين ألفوا في السيرة أو في شروحها أو الكتابة في جوانب تتعلّق بها، كما كانت كتب ابن عبد البر الأخرى شائعة سائرة.

-5-

ابن حَزم5 (483-654)

نقل الممري في نفح الطيب عن صاعد الأندسي قوله في ابن حزم: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار"(45). وقال الدكتور إحسان عباس بعد ترجمته لابن حزم: كان نسيج وحده فيمن أنجبتهم الأندلس(46).

وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، فقيه الأندلس وعالمها، وصاحب التصانيف في الفقه والجدل والتواريخ والسير والأصول والآداب. ومجدّد مذهب داود الظاهري ومقعّد أصوله ومبيّن أحكامه. الفقيه الأديب الناقد المؤرخ الوزير.

ينتمي ابن حزم إلى أسرة فارسية الأصل، في أرجح الآراء، وبحسب ما نقل ابن حزم نفسه. وكانت أسرته ذات سابقة في خدمة الدولة المروانية، والعامريّة. وكان أحمد (والده) مشهوراً بالعلم والأدب والشعر، وكان وزيراً معدوداً في دولة المنصور بن أبي عامر.

وحصل ابن حزم على العلوم الدينية والدنيويّة، وكانت دائرة إحاطته وتحصيله العلميّ واسعة جداً، شملت علوم عصره، (عدا الحساب والهندسة)(46) مكرر.

وبعد أن شارك في الحياة السياسية، وصلي بنارها في مدة الفتنة بعد سقوط العامريين بقرطبة أقلع عن ذلك كله، والتفت إلى التأليف، والدفاع عن الرسالة ومجادلة أهل الملل، وتشعبت اهتماماته التي ألف فيها فكتب في المنطق، والفقه، والأصول والآداب، والتاريخ، وتراجم الرجال، واتسع صدره ليكتب في الحبّ (طوق الحمامة). وكان ابن حزم لسان المذهب الظاهري فألف فيه كتباً كثيرة، وتعرّض لنقمة بعض الفقهاء، وبعض من جاراهم من أمراء الطوائف.

واستمر ابن حزم، ذات شخصية قوية متمكنة، يدرس العلم لطلابه الذين يقصدون إليه حيث انتقل، أو حيث أزعجه الأمراء. ويؤلف الكتب لم يثنه إحراق بعض كتبه... أمر بإحراقها المعتضد بن عباد متقرباً إلى بعض الفقهاء والعامّة..

وكما كان تحصيله من الآداب والعلوم شاملاً واسعاً غزيراً، كانت مؤلفاته انعكاساً لذلك الشمول والاتساع، وكانت، أيضاً، كتباً ذات قيمة علمية عالية من مؤلف مدقّق غزير متدفق القلم حاسم الرأي، قوي الحجّة. وجمع الإمام ابن حزم العلوم النقلية إلى العلوم العقلية، وسمع

سماعاً جمّاً كما قال تلميذه الحميدي(47). وقد روى الحديث عن علماء كثيرين، وروى التاريخ للطبري وحدث به عن شيخه ابن الجسور الأموي. وكتب تراجمه تحفل بأسماء شيوخه، وهم كثرة من جهة، وهم متعدّدو الاهتمام والاختصاص من جهة ثانية.

قال الحميدي إن ابن حزم ألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه: الإيصال إلى فقه الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام. وله الإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والأهواء والنحل، والتقريب لحدّ المنطق. قال وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل... ونبه على عناية ابن حزم بالحديث، وسماعه الكثير عن شيوخ كثيرين.

وإنما أريد في هذه المقدمة السريعة أن أبيّن عناية ابن حزم بالحديث والأصول وعنايته بمناقشة أهل الملل، ومنافحته عن المذهب الظاهري الذي التزم به وكتب فيه. وأن عنايته بالسيرة النبوية لم يكن بعيداً عن منهجه الفكري العام، ولم يكن مشاركة عارضة لمؤلف غزير الآثار.

ونبّه محقّقاً كتاب ابن حزم "جوامع السيرة" في مقدمة الكتاب إلى صنيع ابن حزم، وما هدف إليه من كتابة السيرة، ومزايا الكتاب وخصائصه(48). فالهدف العلمي والتعليمي أن يضع كتاباً مختصراً، قريب المأخذ سهل المتناول، كما فعل في كثير من رسائله التاريخية لتقريب هذه الأغراض إلى طلاّبه، والدارسين.

وتناول ابن حزم للسيرة تدخل في جملة اهتمامه بالاستكثار من النّقل والسنن متابعة لما يقتضيه الاحتجاج لمذهبه الظاهري، فالنقل أساس من أسس المذهب الظاهري(49). والسيرة النبوية –إلى ذلك– صورة عليا من الكمال الإنساني في نفس ابن حزم، فالكتابة فيها حث على الاقتداء به (.

والسيرة دليل من الأدلة على ثبوت نبوته (. وفي هذا يقول ابن حزم: إن سيرة رسول الله (حقاً. فلو لم تكن له معجزة غير سيرته (لكفى(50). وميّز بالعناية فصلين هامين هما أعلام نبوته وخلقه وشمائله لأنهما شاهدا حق على نبوة الرسول (ولأن خلقه وشمائله تمثل الجانب العملي في الكمال الخلقي.

ورد في كتاب "جوامع السيرة"6 ذكر اثنين من مصادر ابن حزم هما: تاريخ أبي حسان الزيادي، وتاريخ خليفة بن خياط، وقال المحققان إن البناء العام لكتاب السيرة يدل على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن إسحاق، وأنه أفاد في كتابه هذا مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب الدرر في اختصار المغازي والسّير... بالإضافة إلى كتب أخرى يمكن أن ترفد كتاب ابن حزم.

وتحدّث الدكتور شوقي ضيف في مقدمة "الدرر" عن استفادة ابن حزم في "جوامع السيرة" من كتاب أستاذه في الدّرر. ولكن نشر جوامع السيرة قبل كتاب الدرر لم يسمح لمحققي كتاب ابن حزم بالمقارنة بين الكتابين، أو الإفادة منه في توثيق النص (مقدمة الدكتور ضيف في شيء من المقارنة والتمثيل بالأدلة أن ابن حزم أكثر من الاستفادة من كتاب (الدرر)، وأنه "لا يتابع ابن عبد البرّ في نسق كتابه وما تضمنه من الأحداث وأسماء الأعلام فحسب، بل كثيراً ما يتابعه في سرد كلامه ناقلاً نص عباراته مع شيء من التصرّف أحياناً، وقد يترك النص الذي ينقله عن أستاذه دون أي تصرّف..."(51).

وهذا اللقاء بينه وبين أستاذه يدل على وحدة المنهج، واعتداد ابن حزم بأستاذه، ومتابعته إياه. ويكون نقل بعض النصوص بأعيانها اكتفاء بالفحوى والنصّ عن المغايرة أو الخلاف.

وتبقى لابن حزم دائماً شخصيته، وأسلوبه في المعالجة، وقدرته على توحيد الأفكار المتشابهة وجمعها وتبويبها، بالإضافة إلى ما عرف عن ابن حزم من الدقّة، ومن تمتّعه بصفات المؤرخ النزيه المنصف.

ولا يغيب عن قارئ كتب ابن حزم، أنه يتمتع بالشخصية النافذة، ذات الطبع الحادّ من جهة، ويحاول أن يسرّب نظراته الفقهيّة حيث يمكن ذلك، ويثبت مذهبه الظاهريّ، من جهة أخرى.

كتاب حجة الوداع:

في ترجمة الرعيني لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر ابن عصفور العبدري ذكر أنه –أي ابن عصفور– سمع على شيخه المحدث أبي العباس أحمد بن سلمة ابن أحمد الأنصاري اللورقي كتاب حجة الوداع لابن حزم. وأخذ الرعيني من شيخه ابن عصفور إجازة هذا الكتاب لمّا أجازه جميع ما يحمله. (برنامج الرعيني صفحة 172).

وكتاب حجة الوداع سفر لطيف طبع في دمشق (بتحقيق د.ممدوح حقي في دار اليقظة العربية).

وبين أبو محمد بن حزم في مقدمة هذا السفر غرضه من تأليفه فقال أن الأحاديث كثرت في وصف عمل رسول الله (في حجة الوداع، وأتت من طرق شتى وبألفاظ مختلفة ووصف فصول من ذلك العمل المقدس في أخبار كثيرة حتى صار ذلك سبباً إلى تعذر فهم تأليفها على أكثر الناس، وحتى ظن قوم كثير أنها متعارضة. (صفحة 44–43). قال: فلما تأملناها وتدبرناها

بعون الله عز وجل لنا وتوفيقه إيانا لا بحولنا وقوتنا رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة.. لاأشكال في شيء منها حاشا فصلاً واحداً لم يلح لنا فيه فصل الحقيقة فيه أي النقلين هو منها فنبهنا عليه وهو: أين صلى رسول الله (الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة... فلما وجدنا الآثار الواردة كما ذكرنا تكلفنا ذكرها وترتيبها وضمها واختصار التكرار إلا ما لم نجد مندوحه عن تكراره لضرورة إيراد لفظة (ع) أو لفظ الراوي على نصه لئلا نحيل الرواية عمن أخذناها عليه..(ص44).

ولهذا فإن ابن حزم رأى أن يذكر بلفظه ذكر عمله (والوقوف عليه كأنه شاهده وأن يحكي ذلك منقله من حين خروجه (من المدينة إلى مكة إلى حين رجوعه (ع) إلى المدينة. وقد جعل هذا فصلاً أول. وزاد بعده فصلين.

الفصل الثاني: لذكر الأحاديث الواردة بكيفية ما ذكره من قبل من حكاية حجة الوداع.

والفصل الثالث: لنفي التعارض المتوهم في بعض الأحاديث.

قال "ولم نقتحم الحكم فيما لم نقف على بيانه ولا حسرنا على القطع فيما لم يلح لنا وجهه ولا قضينا فيما لم نشرف على حقيقته" ص45.

وجاء الكتاب بفصوله الثلاثة في نحو 325 صفحة.

-6-

القاضي عياض 7 445-674

ترجم بالنثيا في تاريخ الفكر الأندلسي للقاضي عياض في جملة من ذكرهم من كبار المحدثين بالأندلس، ونوه ببعض مؤلفاته(52). وقد اعتنت كتب التراجم الأندلسية والمغربية بالقاضي عياض، كما ترجم له ابنه في كتاب خاص، نشره الدكتور محمد بنشريفة تحت عنوان التعريف بالقاضي عياض(53). واحتفلت به كتب التراجم المشرقية. وقد لقيت كتبه سيرورة ورواجاً كبيرين، وفي جملة تلك الكتب والمصنفات كتابه في السيرة النبوية: الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

وهو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي. قال أبو عبد الله محمد بن عياض في التعريف بأبيه(54): استقر أجدادنا في القديم بالأندلس جهة بسطة (شمال شرق غرناطة) ثم انتقلوا إلى فاس... واستوطن عمرون سبتة... واستقرت الأسرة فيها. أما القاضي عياض فقد ولد سنة 476 بسبتة. وأخذ عن أشياخ بلده. ثم رحل إلى الأندلس سنة 507 فدخل قرطبة، وأخذ عن شيوخها وعلمائها كابن عتاب (ت 520) وكانت الرحلة في زمانه إليه واعتماد أصحاب الحديث عليه، وابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة (ت 508) وابن الحاج حمدين قاضي الجماعة بقرطبة وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء معدوداً في المحدثين والأدباء... عالماً بمعاني الأشعار والسير والأخبار (ت 529) وغيرهم من أعلام قرطبة، وخرج من قرطبة إلى مرسية سنة 508 ولقي أبا علي الصّدفي من أئمة العلماء والمحدثين فسمع منه قال ابنه في ترجمته فحصل له -يعني أباه- من الصدفي مسموع كثير في مدة يسيرة. ولقي في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس وأجازه وجماعة من الأعلام غربي الأندلس(55)، ومن أعلام شرقي الأندلس(56)... وكان أشياخه مئة شيخ.

وعاد إلى بلدة (سبتة) يحدّث ويناظر. وولي القضاء سنة 515. ونقل إلى قضاء غرناطة سنة 531. وكانت الأندلس -منذ توحيد المرابطين للعدوتين- جزءاً من الدولة المرابطية. وولي بعدها قضاء سبتة سنة 539.

ولما انتقلت الحال إلى الدولة الموحّدية، وثارت مدينة سبتة كان للقاضي وساطة لدى أمرائهم. وغرّب القاضي إلى مدينة مراكش حيث لقي السلطان (يعني الخليفة الموحّدي) واستعطفه بشعر ونثر. قال ابنه: فوصل -يعني أباه- الحضرة (مراكش) والحال متغيرة عليه (يعني للشك في ولائه، فقد كان مقرباً لدى المرابطين مظنوناً به التأييد لابن غانية) فأقام بالحضرة مدة إلى أن اجتمع بأمير المؤمنين. وكان منه من المنظوم والمنثور ما استعطفه به حتى رق له وعفا عنه.

وتجمع كتب التراجم على أنه مات مغرباً عن وطنه، سنة 544، ودفن بمراكش. ونقل النباهي رواية لم يسندها "وقال بعضهم" تشير إلى احتمال وفاة القاضي غيلة.

وله مؤلفات كثيرة قال فيها ابن الأبار (57) "وله تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفة لها..". عدّها ابنه في كتابه. منها: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ستة أجزاء) بتجزئة المؤلف. وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع.

1 ومنذ القرن الخامس فيما وقع لي من الأخبار –وربما من قبل ذلك– تبدو لنا ظاهرة كتابة الرسائل وإرسالها إلى مقام النبي (ص) محبة فيه وتشوقاً إلى زيارته، وتطلعاً إلى أداء فريضة الحج والعمرة والزيارة. فمن ذلك رسالة لأبي محمد السيد البطليوسي (ت 521) ورسالة للقاضي عياض (ت 544) وتزداد هذه الظاهرة انتشاراً مع الأعصر التالية أيام الموحدين والنصريين، كما ترافق اشتداد الحملة على بلاد الأندلس وأهلها من تحالف الدول الشمالية، ومددها الخارجي... واشتداد المقاومة الأندلسية –المغربية.

(وهذه ظاهرة تصح دراستها مستقصاة في الأندلس والمشرق).

2 القاضي عياض أندلسي الأصل، موطنه (سبتة). وقد ارتبطت هذه المدينة بالأندلس سياسياً في مدد مختلفة، وهي تمثل مركزاً متقدماً من مراكز الحضارة الأندلسية وصلة هامة مع المغرب من النواحي السياسية والثقافية والتجارية والبشرية...

3 ترجمة ابن عبد البر في: جذوة المقتبس للحميدي: 344. والصلة لابن بشكوال 2: 677 وبغية الملتمس للضبي: 474، ومطمح الأنفس لابن خاقان: 61. والمغرب لابن سعيد 2: 407. ووفيات الأعيان لابن خلكان 6: 64. والديباج المذهب لابن فرحون: 357. وشذرات الذهب للحنبلي 3: 344. وتذكرة الحفاظ للذهبي 3: 306. والعبر في خبر من غبر 3: 255. وترتيب المدارك 4: 808.

وانظر دراسة آنخل بالنثيا: 396. ومقدمة التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (للمحققين). ومقدمة الدرر للدكتور شوقي ضيف والأعلام للزركلي. ومقدمة بهجة المجالس "طبعة المجلس الأعلى بالقاهرة) تحقيق م. الخولي.

4 طبع كتاب الدرر في القاهرة 1368هـ–1966م عن لجنة إحياء التراث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. واضطلع بتحقيقه الدكتور شوقي ضيف. وجاء الكتاب في جزء واحد في نحو 350 صفحة كبيرة، يذهب أقل من مئة صفحة منها للمقدمات الفهارس.

5 ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي 290، بغية الملتمس رقم 1204 صفحة 403، والصلة لابن بشكوال 1: 395 طبقات الأمم لصاعد الأندلسي 117، المغرب لابن سعيد 1: 354 والذخيرة لابن بسام 1-1: 140، والمعجب للمراكشي 93، ومطمح الأنفس لابن خاقان 55 ونفح الطيب 1: 364، وتذكرة الحفاظ للذهبي 3: 341 وشذرات الذهب 3: 299. وتاريخ الحكماء للقفطي 156.

للأستاذ سعيد الأفغاني عناية بابن حزم. راجع مقدمة كتابه: ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ومصادر ابن حزم وكتبه في بروكلمان: الأصل 1: 400 والملحق 1: 692. وانظر تاريخ الأدب الأندلسي 1: 303 د.إحسان عباس. وتاريخ النقد الأدبي في الأندلس: د.رضوان الداية.

6 نشر كتاب جوامع السيرة لابن حزم في دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتورين الأستاذين احسان عباس وناصر الدين الأسد ومراجعة الأستاذ العلامة أحمد محمد شاكر

7 ترجم له ابنه محمد في التعريف بالقاضي عياض. وخصه المقري بكتابه: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (طبع منه 3 ج). وانظر فيه المعجم في شيوخ الصدقي 294، وقلائد العقيان: 222 وبغية الملتمس 425 وقضاة الأندلس 101، ووفيات الأعيان 3: 152 وخريدة القصر قسم المغرب، والديباج المذهب: 168.

وانظر مقدمة الإلماع. ومواضع مختلفة من برنامج الرعيني.

ومقدمة ترتيب المدارك (طبعة بيروت/ وطبعة الرباط).

وكتاب مشارق الأنوار على صحيح الآثار، وكتاب غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والتّرسيل.

وكتب للشفا ذيوع وانتشار. وكان في جملة الكتب المروية، المعتنى بها عناية بعيدة، كما نفهم من كتب التراجم، ومما بين أيدينا من كتب برامج العلماء، ونخص منها برنامج الرعيني (صفحات 141، 145، 169، وغيرها). وبرنامج ابن أبي الربيع (صفحة 47) وكلاهما يروي كتاب الشفا من طرق عدة. ومنها برنامج الوادي آشي كما نقل الدكتور عبد العزيز الأهواني في مقدمة برنامج ابن أبي الربيع (صفحة 19).

وقد اعتنى العلماء والمحدثون والمشتغلون بالتواريخ بكتاب الشفا. ووضعوا عليه التعليقات والشروح والمختصرات. ونظم بعضهم الشفا شعراً. ولا يمكن استقصاء ذلك في مقالة كهذه. ويكفي أن يرجع الدارس إلى ما ذكرته كتب التراجم والتواريخ كما في كتاب بروكلمان، وكتاب حاجي خليفة كشف الظنون (صفحة 1053–1052).

وكان الاهتمام مشتركاً من المغاربة والمشارقة1.

ألف القاضي عياض كتاب الشفا تلبية لدعوة صديق أو عزيز، واستجابة لداعي العلم وطلباً للثواب، لكني لما رجوت لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال أو ثواب بتعريف قدرة الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق... بادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدياً من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال... و ... ترجمته بـ: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى".

ويتميز كتاب الشفا بالتبويب والترتيب، وقسمة أخباره (وشمائله وخصائصه إلى أقسام، ووضعها تحت عنوانات مختلفة. وقد حدّد القاضي منهجه في مقدمة كتابه، ومضى عليها من أول كتابه إلى آخره. قال: وحصرت الكلام فيه (الشفا) في أقسام أربعة:

القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى قولاً وفعلاً. وهو في أربعة أبواب 1– في ثنائه، 2–في تكميله له تعالى المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً. وفيه سبعة وعشرون فصلاً، 3–فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها تعظيم قدره عند ربه ومنزلته ما خصه به في الدارين من كرامته. وفيه اثنا عشر فصلاً، 4–وفيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه من الخصائص والكرامات، وفيه ثلاثون فصلاً.

والقسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب: 1–في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته (في خمسة فصول). 2–وفي لزوم محبته ومناصحته (في ستة فصول). 3–في تعظيم أمره وتوقيره وبرّه. 4–وفي حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفصيلته (في عشرة فصول).

والقسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه. قال القاضي عياض هذا القسم هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب. وجعله في بابين: في أحواله (ص) الدينية والدنيوية.

والقسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه عليه السلام في بابين اثنين. وبعد أن عرض القاضي عياض أقسام كتابه قال: "تتم الأقسام والأبواب وتلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل حدس. ويشفى صدور قوم مؤمنين ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين...".

وكتاب (الشفا) كتاب متوسط الحجم بالقياس إلى كتب السيرة تقريباً، على أن القاضي ينص على أنه يكتب مختصراً" فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدياً من ذلك الحق المفترض، اختلستها على استعجال، لما المرء بصدده من شغل البال بما طوفه الإنسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونقل..."(57).

وهو، على كل حال، لاحق بكتب السيرة الشاملة، أعني التي لا تقف من الحديث عن ناحية واحدة من حياة الرسول الكريم (أو خصائصه وشمائله.. الخ. وإن لم يلتزم القاضي عياض في كتابة التأريخ الكامل لمراحل حياته (، والتزم بالمنهج الذي رسمه في مقدمته: فعرف بسيرته العاطرة على وجه الإجمال، والتفت إلى التنويه بشخصه الكريم. وأخلاقه العظيمة، وشمائله المثلى. ونقل من أخباره (وأحواله والتفاف صحابته حوله، ووقف طويلاً عند محبته (واتباع سنته ووجوب طاعته وتوقيره وتعظيم أمره ونقلا الأحكام الفقهية في ذلك.. الخ. والقاضي –على نقوله الكلامية ومناقشاته المختصرة والمطولة– يصرح بأنه لم يؤلف كتابه للرد على المنكرين ولا لنصب البراهين، وإنما يؤلفه لأهل ملته المبين لدعوته، المصدقين لنبوته ليكون تأكيداً في محبتهم له، ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم(58).

واختتم القاضي كتابه بمثل ما بدأ به، وعطف ببيان إنجاز مقاصده التي قصد إليها، من أبرز خصائصه ووسائله، وذكر فضائله وبيان شرف مكانته (...(59.

ولم يصرح القاضي عياض بذكر ثبت مصادره ومراجعه في مقدمة الكتاب أو في خاتمته، ولكنه نثر ذلك في صفحات الكتاب. فكان يسوق الخبر تارة بسنده كاملاً، وكان يختصر ذلك تارة أخرى. وقد يشير إلى النقل عن كتاب ويذكر إجازته أو سماعه.. الخ. وكان ينص أحياناً على النقل من ابن إسحاق. ويشير إلى النقول من كتب مختلفة في الأصول والتفسير والحديث والسير والأخبار والتواريخ وكتب المتكلمين مما يخص الثقافة الإسلامية الواسعة، ومما يرفد الكتاب الذي يؤلفه ويؤيد المنهج الذي يتبعه.

وربما يكتفي بإشارة سريعة فلا يوضح اسم الكتاب المنقول ولا صاحب الفكرة أو الرأي كقوله: قد رأيت لبعض السلف (الشفا 1: 160) وقد وقع لبعض المفسرين (1/161) وقال بعض العلماء (2/46) وأضفنا بعض ما وقع من مشاهير كتب الأئمة (1: 205)... الخ.

وتظهر لك شخصية القاضي عياض في انتقائه، واختياره، وفي منهجه الذي رسمه وقدرته على ضبطه ومتابعته، وفي إبداء الرأي في قضايا مختلفة تخص الفقه أو الأصول أو علم الكلام أو الأخبار...

كما يظهر شيوخه الذين روى عنهم، ونخص منهم أبا علي الصدفي الشهيد ويظهر أعلام السير والكلام والفقه والأصول في نقوله عنهم وروايته المتصلة بهم.

وعلى العموم يحرص القاضي عياض على رواية الأخبار بأسانيدها، ونسبة الآراء إلى أصحابها، والنص على النقول من كتب يسميها أو يسمي أصحابها... وقد يعدل عن هذا، مكتفياً بشهرة الخبر أو باعتماده، وتحمله مسؤوليته وتوثيق نسبته. ولاشك في أن كتب السيرة المختلفة كانت ماثلة أمامه بالإضافة إلى كتب السنن، وما يرفدها، مما سبقت الإشارة إليه.

-7-

أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي2 565-436

هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، بلنسي، وأصله من بعض ثغورها الشرقية. ولد سنة 565 ودخل مع أهله بلنسية وهو ابن عامين فنشأ بها وأخذ عن شيوخها. وذكر له النباهي رحلات وجولات في الأندلس والمغرب لقي فيها العلماء(60). وذكر ابن عبد الملك المراكشي (61) الذين روى أبو الربيع عنهم كأبي بكر جزي وأبي بكر ابن الجد وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي عبد الله بن زرقون، وابن الفخار، وأبي الوليد بن أبي القاسم وتلقى كتباً من عدد من العلماء بإجازته مروياتهم ومؤلفاتهم... وروى عنه جماعة كابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة (الشاعران الكاتبان) وخلق ذكرهم ابن عبد الملك.

وكان شيوخه الذين لقيهم وروى عنهم وأجازوه علماء الوقت في العلوم الدينية والدنيوية، وكان هو كما في الذيل(62) -بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس الشرقي، حافظاً للحديث، مبرزاً في نقده تام المعرفة بطرقه، ضابطاً لأحكام أسانيده ذاكراً رجاله وتواريخهم وطبقاتهم، ريان من الأدب، كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً، خطيباً مصقعاً. خطب بجامع بلنسية في أوقات. واستقصى، وعرف بالفضل والعدالة في أحواله جمع. ورحل إليه ناس متنافسين في الأخذ عنه.

وقال النباهي في صفته: كان حسن الهيئة والملبس والمركب والصورة، كريم النفس يطعم فقراء الطلبة وينشطهم ويتحمل مؤونتهم. وقال ابن الأبار: وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل.

ونقل في الذيل "كان رحمه الله من أولي الحزم والجرأة والبسالة والإقدام والجزالة وثبات الجأش والشهامة ويمن النقيبة. يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلي فيه البلاء الحسن. وآخرها الغزاة التي استشهد فيها بالكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة عمل بلنسية (من توابعها) على نحو سبعة أميال منها. حضرها وحرض المسلمين على قتال عدوهم ورغبتهم في مكافحته، ولم يزل متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار مقبلاً على العدو غير مدبر ينادي المنهزمين: أعن الجنة تفرون؟ حتى قتل صابرا محتسباً غداة الخميس لعشر بقين من ذي حجة 643"(63). ونقل مثل هذا الخبر الذين ترجموا لأبي الربيع جميعاً. ورثاه تلميذاه ابن الأبار وابن عميرة المخزومي وغيرهما(64).

ولأبي الربيع الكلاعي مؤلفات كثيرة، منها في الحديث مجموعة، وفي السيرة والتراجم،

واللغة، وله مؤلفات في الأدب، ورسائل، وديوان شعر، وبرنامج ذكر فيه مروياته، والمعجم من مشيخة أبي القاسم بن حبيش أحد أساتذته.

وفي كتبه المشهورة: كتاب الاكتفا. وقد ورد عنوان الكتاب في مقدمة المؤلف وفي الذيل وغيره من المصادر "الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله (ومغازي الثلاثة الخلفا". ولكنه طبع بعنوان: الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا3.

وقد قدم أبو الربيع الكلاعي في الاكتفا بمقدمة بين فيها منهجه، وذكر مصادره التي اعتمد عليها وخطته التي جرى فيها. قال(65): هذا كتاب ذهبت فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع باتساق الخبر عن سيرة رسول الله (وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه وكثير من خصائصه وأعلام نبوته ومغازيه وأيامه من يوم مولده إلى أن استأثر الله تعالى به وقبض روحه الطيبة إليه، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. مقدماً لذلك ما يجب تقديمه ومتمماً من ذكر أوليته المباركة بلداً ومحتداً بما يحسن علمه وتعليمه ملخصاً جميعه من كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتناءهم واستوفوا فيه آناءهم ككتاب محمد بن إسحاق الذي تولى عبد الملك بن هشام تهذيبه واختصاره.. وكتاب موسى بن عقبة الذي استحسن الأئمة اقتصاده واختصاره وغيرهما من المجموعات... ولكن عظم المعول على كتاب ابن إسحاق: إياه أردت وتجريده من اللغات وكثير من الأنساب والأشعار قصدت، وعلى ترتيبه غالباً جريت، ومنزعه في أكثر ما يخص المغازي تحريت... إلا أنه تخلله أشياء من غير المغازي تقدح عند الجمهور من إمتاعه... ولذلك نويت أن أحذف ما تخلله من مشيع الأنساب... وتفسير اللغات.. حتى لا يبقى إلا الأخبار المجردة وخلاصة المغازي التي هي في هذا المجموع المقصود المعتمدة...".

فهو إذن اعتمد على كتابي ابن عقبة وابن إسحاق. وكان اعتماده على ابن إسحاق أكبر. إلا أنه جرد منه استطرادات في الأنساب واللغات وغيرهما، تصرف قارئ السيرة في تقديره عن مجراها.

ثم إنه بدا للمؤلف بعد ذلك أن يزيد على هذا المقدار(66) فأخذ من مصادر أخرى ذكر منها: كتاب المبعث للواقدي- ونص على اطلاعه على كتابة الآخر في المغازي ورجح أسلوب ابن إسحاق- وكتاب الزبير بن بكار في أنساب قريش، وكتاب التاريخ الكبير لأبي بكر بن أبي خثيمة، بالإضافة إلى كتب غيرها "وكم شيء" استحسنه من غير هذه الكتب فأنظمه في هذا النظام(67) وخص كتاب شيخه الخطيب أبي القاسم بن حبيش4 في المغازي، بإشارة خاصة، وأنه يعتمده في الأخذ والنقل حين ينتقل من مغازي رسول الله (إلى مغازي الثلاثة الخلفاء(68).

وذكر أبو الربيع الكلاعي مقصده من هذا التأليف وعينه في نقطتين:

–أن المراد فيه بالقصد الأول وجه الله سبحانه وتعالى.

–والقصد الثاني الرغبة في إيناس الناس بأخبار نبيهم صلى الله عليه وسلم. فإن من قرأ سيرته صلى الله عليه وسلم وجد فيها القدوة الحسنة: فيستجزل ثواب الفرح بنصر الله، ويصبر على المحن والشدائد ويصطبر للشدائد، ويتأدب بأدابه صلى الله عليه وسلم.

ولخص في مقدمة الاكتفا (طبعة القاهرة) صنيع أبي الربيع الكلاعي في كتابه بأنه تأنى في الاختيار والترتيب واستكمل النقص وجمع المزايا، كما يفهم قارئ مقدمة المؤلف(69). وكان الكلاعي لا يتدخل برأيه إلا عندما تختلف الروايات ليفصل فيها ويرفع الأشكال. وأنه ربما فصل بين بعض الأحاديث المتشابهة لضرورة... الخ.

-8-

ابن سيد الناس اليعمري5 176-437

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربعي. أصل سلفه من الأندلس. وكان جده الأعلى قد دخل الأندلس في الأيام الأولى وأسكنه بلج بن بشر أبذه جيان لشبهها بمنبج الشام أصلهم القديم. وكان جده أبو بكر محمد خطيب المسجد الجامع بتونس، وعده بالنثيا في متابعي مذهب ابن حزم الظاهري.

ولد أبو الفتح محمد بن سيد الناس في القاهرة سنة 671. قال الصفدي: وهو من بيت رياسة علم (يشير إلى مكانة أسرته بالأندلس، بإشبيلية) عنده كتب كثيرة وأصول جيدة. سمع وقرأ وارتحل وكتب وصنف وحدث وأجاز، وتفرد بالحديث في وقته. ... واستطرد في ذكره مشاهير شيوخه ثم قال، ولعل مشيخته يقاربون الألف. ونقل الصفدي في صفته: وكان طيب الأخلاق بساماً صاحب دعابة ولعب. وكان صدوقاً في الحديث حجة فيما ينقله له بصر نافذ بالفن وخبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف ويد طولى في علم اللسان ومحاسنه جمة.

قال: وكان صحيح القراءة سريعها، سريع الكتابة. كتب ختمة في جمعه. وكان يكتب السيرة التي له في عشرين يوماً وهي مجلدان كبيران وبرع بكتابة الخطين المغربي (الأندلسي) والمشرقي. وكان صحيح العقيدة جيد الذهن يفهم به النكت العقلية ويسارع إليها ولكنه جمد عقله لاقتصاره على النقل(71).

وكان بيده مع مشيخة الظاهرية (بمصر) مدرسة أبي حليقة على بركة الفيل ومسجد الرصد وخطابة جامع الخندق. وله رزق. وله في صفد راتب، وفي حلب فيما أظن(72).

وقد أحضر كتباً جمة ثمينة، أغلبها أحضر له من تونس في جملتها تاريخ ابن أبي خيثمة والمحلى لابن جزم والتمهيد لابن عبد البر والاستذكار له، وغير ذلك.

وصنف "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير"، ومختصره الذي سماه "نور العيون في سيرة الأمين المأمون". ومن مصنفاته:

تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب(73)، ومنح المدح والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة. وله شعر كثير.

وقال ابن قاضي شهبة فيما نقله ابن العماد: سمع من الجم الغفير وتفقه على مذهب الشافعي وأخذ الحديث عن والده وابن دقيق العين ولازمه سنين كثيرة وتخرج عليه وقرأ عليه أصول الفقه وقرأ النحو على ابن النحاس..". وكانت له رحلة إلى دمشق.

أما كتابه في السيرة فهو: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير وقصد فيه إلى أن يكتب السيرة بحيث يتجنب فيها إطالة المكثر وإخلال المقل. ومع ذلك فإنه يقول عمن سبقوه "فليس لي في هذا المجموع إلا حسن الاختيار من كلامهم والتبرك بالدخول في نظامهم"(74). وأنه إنما يجمع المتفرقات وينظمها ويختار منها. وهو بلاشك يعتمد الروايات الصحيحة، ويأخذ بالأخبار الموثوقة ويتدخل حيث يمكن أن يبدي رأياً أو يناقش قضية.

وأوضح منهجه الذي أتبعه من الاختصار والإيجاز "سالكاً في ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء إلى شكله ومثله حاشا ذكر أزواجه وأولاده عليه السلام"، فإنه لم يسق ذلك على ما اقتضاه التاريخ (من تسلسل الوقائع) بل أتبع به باب المغازي والسير من باب الحلي والشمائل، إلا تزويجه السيدة خديجة (ع) لما وقع في أمرها من أعلام النبوة.

وأضاف إلى ذلك نتفاً من الأشعار وأشياء في الأنساب. ولم يثقل الكتاب بذكر الأسانيد وكتب السنن والسير والمصنفات المختلفات، بل اكتفى بأن ذكر كله مجملاً في آخر الكتاب (وسنتحدث عنها في مصادره). أما في الفوائد الملتقطة والأجزاء المتفرقة فكان يذكر أسانيده فيها في مواضعها.

وأما في الأنساب فكان يذكرها مرة ثم لا يكررها اكتفاء برموز يُحيل عليها اختصاراً(75): مثل (سا) للسابقين الأولين و(ها) للمهاجرين الأولين –إلى أرض الحبشة– الخ..

مصادره: قال ابن سيد الناس: وعمدتنا فيما نورده على محمد بن إسحاق، ونبه إلى ملاحظة لطيفة فأضاف "إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرها".. إلا أن ابن سيد الناس كان يذكر خبر ابن إسحاق إذا ورد غيره مسنداً، ترجيحاً لمكان الإسناد.

ونقل عن الواقدي. وعقد فصلاً مطولاً للحديث عن الرجلين لبيان حالهما6.

وفي خاتمة الكتاب تحدث المؤلف عن الأسانيد التي وقعت له من المصنفين الذين اعتمد كتبهم في تأليف سيرته(76). وذكر من الكتب: صحيح البخاري. وصحيح مسلم، وسنن أبي داود وكتاب الجامع للترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه. قال: وما كان في الكتاب عن

ابن إسحاق ضمن السيرة النبوية من رواية ابن هشام وتهذيبه. وما كان فيه من كتاب المغازي عن موسى بن عقبة فعن الإمام عز الدين الغاروني وجماعة. وذكر من مصادره أيضاً كتاب المغازي لأبي عبد الله القرشي. وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد. وما رواه عن الطبراني وأبي يعلي الموصلي وأبي بشر الدولابي وأبي عروبة الحراني بأسانيد ذكرها. ومن مصادره أيضاً معجم أبي الحسن الغساني.

ومن مصادره: الدرر في احتضار المغازي والسير لابن عبد البر. وكتاب الأنساب للرشاطي والشفا للقاضي عياض والروض الأنف للسهيلي. وطرر كتبها الشلوبين على هامش السيرة الهشامية على نسخة، بخط جده أبي بكر.

وهذه الكتب والتعليقات جميعاً أندلسية.

وقد تحدث الدكتور شوقي ضيف في مقدمة (الدرر) عن استفادة ابن سيد الناس من كتاب ابن عبد البر، قال: ولعل أهم من خلفوا ابن عبد البر إفادة من سيرته ابن سيد الناس (ت 734) فقد جعلها نصب عينيه في سيرته النبوية المطولة التي سماها عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. وفيها ينقل فصولاً وفقراً كثيرة عن ابن عبد البر مصرحاً باسمه غالباً وقد راجعه كثيراً في أسماء الأعلام وفي جوانب مختلفة من مادة سيرته وآرائه أو كتابه. وقال د.ضيف في مكان آخر: وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن سيرة ابن عبد البر كثرة مفرطة(76)، ودائماً يرجع إلى كتابه الاستيعاب في موازناته ومراجعاته. بل إن د.ضيف يرى أن سيرة ابن سيد الناس تحولت إلى ما يشبه نسخة من كتاب الدرر الخ.

وقد أثنى معاصرو ابن سيد الناس على كتابه، وشاع في الناس. وكان يكثر من كتابه بخطه. وكان في جملة مرويات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري من كتب السيرة، كما ذكر في فهرسة شيوخه(77) وقد عني بها جماعة اختصاراً، ونظماً وشرحاً مما يطول التفصيل فيه، في هذا المقام.

واختصر المؤلف كتابه (عيون الأثر) بمختصر لطيف سماه نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون. وقال في مقدمته: لما وضعت كتابي المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والسير 7 ممتعاً في بابه مغنياً عما سواه لقاصدي هذا العلم مأخذه ونقله وسهل تناوله الأوراق منه ما قرب مأخذه ونقله وسهل تناوله وحمله ليكون للمبتدئ تبصرة والمنتهي تذكرة وسميته "نور العيون في تلخيص سيرة الأمين والمأمون".

ونور العيون ملخص سريع، شاف، على ترتيب وقائع السيرة النبوية بأسلوب مقبول، وعرض

دقيق.

-9-

أبو القاسم السهيلي8 805-185

هو أبو القاسم، وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله... بن فتوح وهو الداخل إلى الأندلس، السهيلي الخنعي. مولده بقرية سهيل من أعمال مالقة ونشأ بمالقة، وتعلم، وظهر. وسمع من كثير من أهلها ورحل إلى إشبيلية فلزم القاضي أبا بكر ابن العربي وأخذ عنه كثيراً من الحديث والأصول والتفسير، وسمع من غيره من مشاهير أهل إشبيلية. وبرع في علوم القرآن والحديث والنحو والصرف واللغة والأدب.

كان مولده سنة ثمان وخمس مائة ووفاته سنة إحدى وثمانين في مدينة مراكش وله الأبيات المشهورة:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

قال تلميذه ابن دحية، في الطرب(78): وتصانيفه كثيرة فمذهَبَتُها: كتاب "الروض الأنف والمشرع المروى في تفسير ما اشتمل عليه حديث رسول الله (واحتوى". وله أيضاً: "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام". قال ابن دحية وسمعت عليه مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي (.

ومن كتبه (نتائج الفكر)، وغيره.

قال ابن خلكان: وأشعاره كثيرة، وتصانيفه ممتعة. وكان ببلده يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نمي خبره إلى صاحب مراكش (الأمير الموحدي) فطلبه إليها وأحسن إليه وأقبل إليه بوجهه غاية الإقبال، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام.

وبمراكش كانت وفاته.

وذكر الرّعيني في برنامجه عدداً من الذين رووا عن السهيلي كتابه الروض الأنف من الأعلام (انظر مثلاً ص52 وغيرها).

كان كتاب الروض الأنف من الكتب الذائعة أيام المؤلف، وبه اشتهر دون غيره من الكتب

والمؤلفات، وقد رواه عنه جماعة من تلامذته في الأندلس والمغرب. وكتب للروض الأنف السيرورة بعد مؤلفه، إلى زماننا هذا، قال بالنثيا في تاريخ الفكر الأندلسي (398) وممن اشتهر بالتحقق في علوم الحديث عبد الرحمن ابن عبد الله السّهيلي: وكان عالماً بالقراءات واللغات والعربية وضروب الآداب، حافظاً للسير والأخبار والأنساب إماماً في الحفظ والذكر والإدراك، مقدماً في الفهم والفطنة والذكاء، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرّف في فنون من العلم يغلب عليه علم العربية والغريب وأشهر كتبه الروض الأنف في شرح السيرة لابن إسحاق. وهو أجلّ تواليفه، دلّ به على سعة حفظه ومتانة علمه.

وذكر السهيلي في مقدمة الروض الأنف أنه يشرح سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام، وذكر طرقه في روايتها، وأنه بدأ الشرح إملاء في محرم سنة 569 وفرغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام.

وقد أفاد في كتابه قارئه من: فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه والنحو والأعراب، مما استخرجه من عشرين ومئة كتاب، قال: هذا "سوى ما أنتجه صدري ونفحه فكري وتنجه نظري ولقنته عن مشيختي من نكت علمية لم أسبق إليها ولم أزحم عليها... مع أني قللت الفضول وشذبت أطراف الفصول(79).

ويمكن إيجاز عمله بخمسة أمور، العناية باللفظ الغريب، وشرح الكلام المستغلق، وإعراب الغامض، والحديث في بيان النسب وتتمة الأخبار الناقصة(80).

وقد ذكر السهيلي في كتابه أسماء بعض مصادره وأغفل كثيراً منها. ومما ذكره تفسير بقي بن مخلد، وبعض كتب ابن العربي، وأبي علي القالي وابن دريد وأبي الفرج الأصفهاني... الخ.

والكتاب مرجع ضخم، هام لإيضاح مسائل من السيرة ويشرح من غريبها ومعاني أشعارها، ولإضافة فوائد مختلفة قيّمة في النسب واللغة والنحو والأدب والخبر.

وقد طبع "الروض الأنف" بهذا العنوان (قابل بما قاله ابن دحية من عنوان الكتاب). وطبع بهامشه سيرة ابن هشام في جزاين 1332هـ/ 1914م. بالقاهرة.

-10-

أبو ذرّ الخشني3359-406هـ

هو أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد (المعروف بابن أبي رُكَب) بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشني، قال مؤلف الذخيرة السنية(81): الأستاذ المقرئ النحوي الجليل القدر. أصله من جيّان (بالأندلس) روى عن أبيه وعن أبي بكر بن طاهر، وتجوّل بالعدوة والأندلس، وطلب العلم واعتنى به وقيّد. وروى بفاس عن جماعة... وروى بقرطبة عن ابن بشكوال وغيره، وروى ببجاية عن عبد الحق الأزدي الإشبيلي وكتب إليه الإمام أبو الطاهر السلفي وأبو محمد الديباجي.

قال "وكان رحمه الله أحد الأئمة المتقدمين ضبطاً وتقييداً، وأحد المعتمد عليهم في علم اللغة والآداب، إماماً في العربية، عالماً بكتاب سيبويه". ووصفه بالفضل والدين والورع.

وأقرأ أبو ذر الخشني ببلده جيّان، وببجاية وإشبيلية وفاس وبها استقر إلى أن توفي سنة 604. وقد تولى الخطبة بجامع إشبيلية مدة، وكان يقرئ العربية بها أيضاً. وولي القضاء للمنصور الموحدي ببلدة جيان. ونقل في الذخيرة أيضاً أن الإمام الحافظ المزدغي كان يقدمه في العربية وفي علم الحديث ويقول: كتابان لا يُحسن أحد أن يمسكهما في يده مع أبي ذر: وهما مسلم (الصحيح) والسّير، يعني في الضبط والتقييد، وكان مع ذلك راوياً لكتب كثيرة في فنون شتى من العلم.

وله إملاءٌ حسن على كتاب السّير.

وله شعر رائق في فنون شتى.

وترجم له ابن الأدبار في التكملة، وذكر أنه سمع عن علماء (سمّاهم) بجيان وتلمسان وبجاية وفاس. قال وكان رئيساً في صناعة العربية عالماً بها قائماً عليها درّسها حياته كلها ورحل الناس إليه فيها مع المعرفة بالآداب واللغات والأخذ بحظ من قرض الشعر.

وكان أبو بكر محمد من علماء الأندلس ومحدّثيها، وله فهرسة (برنامج) جمعه ابنه مصعب (أبو ذرّ)، ذكر ذلك أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني في مقدمته على برنامج ابن أبي الربيع (صفحة 11).

شرحه على السّيرة: كان أبو ذر الخشني كما تذكر الكتب القليلة التي ترجمت له بارعاً في اللغة وعلومها، كما يذكر ابن الأبار أنه قد بعد صيته في الإقراء والتدريس. وكان على خطة فذة في التدريس "فقد منع تلاميذه التبسّط في السؤالات وقصرهم على ما يُلقى إليهم دون استزادة، ولم يكن ذلك لأحد من أهل عصره!"(82).

وقال ابن الأبار أيضاً: وله تأليف في شرح غريب السير لابن إسحاق، وتأليف صغير في العروض.

وقال السيوطي: من تصانيفه: الإملاء على سيرة ابن هشام. وقد طبع الكتاب بعنوان: (شرح السيرة النبوية رواية ابن هشام على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)، وذلك سنة 1329هـ بمصر. استخرجه وصححه بولس برونله.

ونقرأ في مقدمة المؤلف: هذا إملاء أمليته من حفظي بلفظي على سيرة رسول الله (التي تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها أو أن سمع هذا الكتاب منّي، وقيدت رواياته بطرقها عني، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه وإيضاح ما التبس تقييده على حامله وراويه، مع اختصار لا يخل وإيجاز يتم به البيان ويستقل، لم يقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ولا ينحو به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه، وإنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر.

ثم عرض عليّ هذا الإملاء بعد كماله فتصفحته، ورُغب في حمله عنّي فبعد لأي ما أذنت في ذلك وأبحتُه.

والله تعالى ينفعنا بما قصدناه ويجزل ثوابنا على ما ابتغينا وتوخيناه... الخ".

ويظهر طابع الإملاء على الكتاب، وكان مبيّض الكتاب (أو جامعوه) يحرص على عبارة "حدثنا الشيخ الفقيه أبو ذرّ) مرّة بعد مرّة من أول الكتاب إلى آخره.

وقد جعله الناشر في جزأين. غير أن المؤلف قسم كتابه على عشرين جزءاً، وأثبت الناشر تجزئة المؤلف، فقد كان ينص على نهاية الجزء وبداية الذي يليه.

وشرح أبي ذر الخشني على السيرة يهتم بشرح الغريب من اللغات والأسماء والأعلام. وشرح العويص من الشعر الذي ذكره ابن إسحاق. وإضافة إيضاحات من العربية والنحو والصرف وما يتعلق بذلك. وكان ينسب الأبيات أو ينبه على روايات في نسبتها.

وكان يذكر أحياناً بعض المصادر وأسماء بعض المؤلفين مثل قاسم بن ثابت صاحب الدلائل والخطّابي، والوقّشي، وتفسير ابن هشام لغريب السيرة والنقّاش، وابن عبد البر القرطبي، وموسى بن عقبة... الخ.

وكان يرجع إلى كتب التفسير والقراءات والأنساب، ويصحح بعض الأنساب (صفحة 99 مثلاً)، وينقل عن كتب السّنن لإيضاح النص أو معارضته أو إيراد روايات أخرى. (انظر مثلاً 236).

وربّما نقل عن شيوخه مغفلاً الاسم، وقد يذكره (راجع مثلاً 126).

ولاشك في أن أبا ذر الخشني كان يرجع إلى روايات السيرة، سوى رواية ابن هشام، وإلى الكتب المعتمدة في السنن والسير، وأن التراث الأندلسي بخاصة كان تحت يده أو في المرويّ المحفوظ، كما مرّ مثلاً من ذكر قاسم بن ثابت والوقشي وابن عبد البر وغيرهم بالإضافة إلى شيوخه الذين عاصرهم وأخذ عنهم.

وكتاب أبي ذرّ، يدل على علم غزير واطلاع واسع ومعرفة بفنون اللغات والآداب والأخبار والأنساب والسّير، وعرف له معاصروه هذه الخصائص فقدموه وأخذوا عنه.

وبعد:

فهذا ما تيسّر الحديث فيه من (السيرة النبوية في التراث الأندلسي) قصدت فيه إلى رسم الخطوط العريضة، وإثارة الانتباه إلى أهمية الموضوع، وأن أصيب من المعلومات، والإضافة، والتحليل، ما تطيقه مقالة في مجلة، وما أستطيعه من النظر في الكتاب المطبوع الممكن الرجوع إليه على وجه.

وآمل أن أتابع هذا الموضوع باستيعاب، وتفصيل وزيادة تحليل، أو أن ينهضُ به مهتم بالتراث الأندلسي، محبّ له.

والحمد لله رب العالمين.

* *

حواشٍ وإحالات:

(1)فهرسة ابن خير الإشبيلي –الطبعة الثانية– بيروت 1382هـ–1963م راجع مثلاً صفحة 110، 151، 230، 238، وغيرها. وانظر في المسارد مواد: الإعلام والسيرة والشمائل والفتوح، والمغازي..

(2)الجذوة 354 وبغية الملتمس 488.

(3)برنامج شيوخ الرعيني دمشق صفحة 172.

(4)المصدر نفسه 52.

(5) المصدر نفسه 60.

(6) المصدر نفسه 142.

(7) المصدر نفسه 45.

(8) المصدر نفسه 148.

(9)برنامج ابن أبي الربيع 47.

(10) المصدر السابق.

(11)مقدمة التحقيق كتاب الدرر للدكتور شوقي ضيف.

(12)الاكتفا للكلاعي 55 طبعة أوربة. وقد بقيت منه قطع في لندن ومدريد.

(13)عيون الأثر: 2: 347.

(14)نفح الطيب 5: 414.

(15)الذيل والتكملة 278–5/2.

(16)الذيل والتكملة 1: 356

(17) نفح الطيب 2: 207.

(18)عنوان الدراية 228.

(19)نفح الطيب 6: 145.

(20)الذيل والتكملة 2/521.

(21) عنوان الدراية 228.

(22)نفح 2: 599 والذيل والتكملة 2: 521.

(23)عيون الأثر 2: 347.

(24)طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي 229.

(25)تاريخ الفكر الأندلسي 389.

(26)طبقات الزبيدي 229.

(27)الذيل والتكملة 1/1: 356.

(28) المصدر نفسه 1/ 2: 521.

(29)الإعلام للزركلي 7: 263.

(30)فهرسة ابن خير 420.

(31)برنامج شيوخ الرعيني 169.

(32)جذوة المقتبس 346.

(33)الصلة لابن بشكوال.

(34)المغرب 2: 407.

(35)جذوة المقتبس 345.

(36)وفيات الأعيان 6: 69.

(37)الجذوة 344.

(38)طبع بعنوان بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس.

(39)يعني كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

(40)الدرر 29.

(41)مقدمة تحقيق الدرر: 13.

(42) المصدر نفسه. (42 مكرر) حقق الدكتور سهيل زكار قطعتين هامتين منه سيرة ابن إسحاق برواية ابن بكير وطبعه في دار الفكر (بيروت 1978) بعنوان كتاب السير والمغازي.

(43)مقدمة الدرر 9.

(44)راجع المقدمة.

(45)النفح: 1: 337.

(46)عصر سيادة قرطبة 318. (46 مكرر) المصدر نفسه.

(47)جذوة المقتبس 47.

(48)انظر مثلاً 14–5 من جوامع السيرة.

(49)مقدمة جوامع السيرة: 5.

(50)الفصل 2: 90، وراجع مقدمة صفحة 6.

(51)مقدمة الدرر: 15.

(52)تاريخ الفكر الأندلسي 398–397.

(53)التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد.

(54)التعريف بالقاضي عياض 5–2.

(55)التعريف.

(56)نقل القاضي النباهي في المرقبة أن القاضي (عياض) سكن بمالقة مدة وتمول بها أملاكاً.

(57)الشفا 1: 5–4.

(58)الشفا: 204.

(59)الشفا 2: 344.

(60)المرقبة: 119.

(61)الذيل والتكملة 4: 84–83.

(62)الذيل والتكملة 4: 85.

(63)الذيل 4: 89.

(64)الروض المعطار 41 ونفح الطيب 4: 474-473.

(65)الاكتفا 1: 50.

(66) الاكتفا 1: 52.

(67) الاكتفا 1: 53.

(68) الاكتفا 1: 55.

(69)الاكتفا "ط الخانجي بمصر" –مقدمة المحقق.

(70)تاريخ الفكر 238.

(71)الوافي بالوفيات 1: 291.

(72)المرجع نفسه.

(73)ذكر سركيس في معجمه أنه طبع قسم من الكتاب.

(74)عيون الأثر 1: 6.

(75)عيون 1: 7.

(76)عيون 2: 342.

(76) مكرر –الدرر: مقدمة: 18-17.

(77)الورقة 34.

(78)المطرب 236.

(79)الروض الأنف 1: 3.

(80)المرجع نفسه.

(81)صفحة 42.

(82)التكملة لابن الأبار 2: 702.

1 وطبع كتاب (الشفا) طبعات عديدة في المشرق والمغرب، وطبع مع بعض الشروح أيضاً. (راجع معجم سركيس، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان) ومن شروحه المطبوعة شرح الخفاجي. وقد كثرت نسخة في المشرق والمغرب لأنه كان يورّق (ينسخ) في المساجد تبركاً.

2 ترجم له ابن الأبار في التكملة (ط مجريط رقم 1991) وتحفة القادم 129 وأعتاب الكتاب 249. وابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة 4: 83. وابن فرحون في الديباج: 122 والنباهي في المرقبة 119، والرعيني في برنامجه 66، والمقري في نفح الطيب 4: 473 وذكره الحميري في الروض المعطار: 41 عند ذكر مادة أنيشة. وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ: 4/ 209، والسيوطي في طبقات الحفاظ 3: 56.

(وانظر مقدمة الاكتفاء –الطبعة الأوربية– حيث نقل تراجم الكلاعي من معظم المصادر. ومقدمة الاكتفا –الطبعة القاهرية–).

3 طبع الجزء الأول بعناية هنري ماسيه سنة 931 بالجزائر. ثم طبع جزآن (من أربعة أجزاء) بتحقيق مصطفى عبد الواحد بمطبعة الخانجي بالقاهرة. ووعد بإتمامه، وهو جدير بالطباعة طبعة كاملة متقنة.

4 أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش الأنصاري (587–504) مؤرّخ، عالم بالقراءات، من الحفاظ. هو من أهل المرية وتولى القضاء بجزيرة شقر، وبمرسية، وبها توفي. من مؤلفاته المغازي قال السيوطي (2: 84) أنه في عدة أجزاء. ومنه اليوم قطع (مخطوطة).

5 ترجم له معاصره وصديقه صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات 1: 311–89. وابن شاكر في الفوات 2: 344 وابن الأثير في البداية والنهاية 14: 169 وابن حجر في الدرر الكامنة 4: 330 والسبكي في طبقات الشافعية 6: 29 وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 9: 303 والشوكاني في البدر الطالع 2: 249 وابن العماد في الشذرات 6: 108.

وانظر أيضاً: ثبت شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الورقة 34. ومقدمة عيون الأثر.

6 وكان السهيلي قدم بتعريف حال ابن إسحاق (الروض الأنف 1: 5-4).

7 طبع كتاب عيون الأثر بعناية الأستاذ حسام الدين القدسي معتمداً على أصول جيدة ومعاونة (راجع مقدمته) سنة 1356هـ. وطبع كتاب نور العيون سنة 1354هـ بعناية رضوان محمد رضوان. طبع كلاهما في القاهرة.

8 ترجم له الضبي في بغية الملتمس 354. وابن دحية في المطرب 230. وابن سعيد في المغرب 1: 448. وابن خلكان في الوفيات 2: 323. وابن فرحون في الديباج 150 وابن ثغري بردي في النجوم الزاهرة 6: 100 وابن العماد في الشذرات، 4: 271 والصفدي في نكت الهميان 187 وصفوان بن إدريس في زاد المسافر: 96.

9 ترجم له ابن الأبار في التكملة (طبعة مصر 2/700) وصاحب الذخيرة السنية 42، وأبو بحر الرعيني صفحة 45، وبرنامج ابن أبي الربيع صفحة 11. وترجم له ابن سعيد في المغرب 2: 55 والسيوطي في البغية 2: 287 وابن سعيد في الرايات 103 وابن العماد في الشذرات 5: 14.

- وترجم الضبي لأبيه أبي بكر صفحة 121. وياقوت في معجم الأدباء 19/54. والسيوطي في بغية الوعاء1: 244 وتوفي أبوه (أبو بكر سنة 544.

فهرس

-1-	5
-2-	7
-3-	11
-4- ابن عبد البر	18
-5-ابن حَزم	21
كتاب حجة الوداع:	**23**
-6-القاضي عياض	25
-7- أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي	31
-8- ابن سيد الناس اليعمري	34
-9-أبو القاسم السهيلي	38
-10-أبو ذرّ الخشني	40
حواشٍ وإحالات:	**43**